تقديم معالي الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي

أ. د. الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

بحمد الله نجتمع هذه الليلة للحلقة الثالثة من حلقات منتدى الفكر الإسلامي التابع لمجمع الفقه الإسلامي، ونحن في هذا المكان نقوم بدورنا الضروري واللازم من الاتصال بحضراتكم والتعاون معكم والاستفادة من ملاحظاتكم ومناقشاتكم لنتمكن من تحقيق السير الكفيل بأن نجد الطريق المرسوم أساساً لتحقيق النهضة الشاملة الفكرية الإسلامية.

وكما تحدثنا في المرّات الماضية عن قضايا هامة جداً فإني أعتقد أن الموضوعات التي وقع تحديدها من طرف الهيئة الإدارية للمنتدى هي ضرورية ومهمة، ضرورية لأنها تتصل بقضايا الساعة ومهمة لأنها حلّ للكثير من المشاكل التي يريد الناس بحثها لكنّهم لا يجدون الطريق ولا السبيل إليها، فمن أجل ذلك اقترحنا على الأستاذ الدكتور عبد اللطيف الشيخ الصباغ بأن يشرفنا ويسعدنا بإلقاء محاضرته الجيدة – إن شاء الله – والتي تتناول "التنوير"، هذه الكلمة الكبيرة التي طالما استمعنا إليها، وحاول كل طائفة من الناس أن يصوّرها على الشكل الذي يريده فهو جاء ليفصل هذه القضية ليتحدث عن مفاهيم التنوير وعن اتجاهاته في العالم الغربي الذي انبثقت فيه هذه الفكرة أو هذا المنهج الفلسفي.

ولذلك فإني أشكره على استجابته الكريمة لهذه الدعوة.

في بداية الجلسة أريد أن أطلب من مساعد معالي الأمين العام، المساعد للشؤون الثقافية السفير أحمد الغزالي، لإلقاء كلمته في هذا الافتتاح فليتفضل.

كلمة الأمين العام المساعد للشؤون الثقافية
بمنظمة المؤتمر الإسلامي

سعادة السفير الأستاذ

شكراً لمعالي الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة الذي أعطاني الكلمة وأودّ قبل كل شيء أن أعتذر للأمين العام الدكتور أكمل الدين أوغلى لعدم تمكنه من حضور هذه المحاضرة القيمة، وذلك لاضطراره فجأة للسفر إلى بيروت لحضور جنازة المرحوم رئيس وزراء لبنان السابق السيد رفيق الحريري، ونتأسف بطبيعة الحال لغياب هذا الوجه الكريم وهذه الشخصية العظيمة التي ستترك أثراً على العالم العربي الإسلامي ونتمنى له الرحمة.

كما أرحب أيضاً بالأخ الكريم الدكتور عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي الصباغ محاضرنا اليوم وهو معروف لا يحتاج إلى تعريف، ولهذا نتمنى أن تكون هذه المحاضرة مفيدة وإني متأكد بنجاح الدكتور في شرح هذه الفكرية وفي الإشارة إلى هذا الموضوع الهام الذي في الفكر الحديث.

أيها الإخوة،

إن فكرة التنوير أعجز شخصياً أن أشرح كثيراً منها، لكن أريد فقط أن أقول بأن الكلمة تحمل معنى عميقاً وقد عرفت الإنسانية مراحل متعددة من ناحية التفكير، عرفت مرحلة القرون الوسطى، هذا من ناحية التفكير فقط، عرفت مراحل التنوير، وعرفت العالم المعاصر، ثم الآن ما يسمى ببعد الحداثة، هذه مراحل التفكير، ومنها أيضاً العولمة، ولهذا فهذه المراحل كلها مرت بها الإنسانية ومن الصعب جداً حصرها وقد وقع فيها خلاف ليس فقط في وسط الغرب ولكن وقع خلاف عميق في الغرب والشرق وتقريباً في كل حضارة من الحضارات التي عرفتها الإنسانية. من منا لا يعرف ديدرو، ومونتاشكير، وروسو، هذه كلها أسماء لامعة مرت بمرحلة معينة واختلف الناس كثيراً في فهم فلسفتهم وفي فهم اجتماعيتهم، فنحن مثلاً نعرف في القرون الوسطى أن سانتوبشتا يعتبر مدرسة وأن القس توما يعتبر مدرسة وأن باكو هو من الفلاسفة الأولين الذين أدخلوا العالم تقريباً في التجربة ونقولها من مرحلة إلى مرحلة إلى النهضة، هذه كلها إشارة فقط لا أريد أن أتعمق فيها ولكن الشيء في رأيي في الفكر الإسلامي أو في الحضارة الإسلامية التي هي حضارة الترقيب، حضارة استطاعت أن تنقل كثيراً من المفاهيم فهضمتها ثم بعد ذلك كانت جسراً طبيعياً من القرون الوسطى إلى العصر الحديث.

فابن رشد وابن سينا هؤلاء كلهم كانوا أثروا تأثيراً بالغاً في علماء الغرب وفي فلاسفتهم ولكن هذا لا يهمنا الليلة، ولهذا باسم الأمين العام أشكر الشيخ ابن الخوجة على افتتاح هذه المحاضرة الليلة، ولا أدّعي أنني يمكن أن أشير إلى الدور الإيجابي الفقهي وما يقوم به من ناحية التفكير ومن ناحية التهيئة الإسلامية للعصر الحديث وما هي التفسيرات التي أعطاها المجمع لكثير من الاختراعات حتى تتماشى مع الإسلام أو حتى تتكيف الشريعة مع العصر الحديث بحيث إننا إذا حاولنا أن نقارن مقارنة سطحية يمكن أن نقول هذا المجمع وبدون مبالغة أنه موسوعة إسلامية أعطت تفسيرات عدة لكثير من

الإشكاليات المعاصرة من الناحية الإيديولوجية ومن الناحية النفسية ومن الناحية الاقتصادية، وهذا وقع خاصة في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي بفضل أستاذنا العظيم محمد الحبيب ابن الخوجة الذي لا يقلّ علماً ولا يقلّ فهماً للشريعة الإسلامية وللعصر الحديث وهذه القوة التي يتمتع بها لا نجد الآن فراغاً والحمد لله في ديننا وفي شريعتنا، بحيث إن صحّ التعبير وأعتذر عن هذه الكلمة أن المجمع الفقهي عصراً للشريعة الإسلامية، معناه جعلها حديثه، جعلها تتماشى مع الأشغال اليومية للمسلم سواء كان في الهند أو في المغرب. ولهذا – عفواً ممكن أطلت أمام العلماء الأجلاء – ولهذا نتمنى لكم يا أستاذنا النجاح ونتمنى لشيخنا الرّاحة والانسجام وطول العمر إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله ،،

معالي الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي:

شكراً على هذه الكلمة الطيبة والكريمة التي صدرت عنكم والتي لا تزيدنا إلا إيماناً إن شاء الله بالواجب الذي ينبغي أن نقوم به وعلى الوجه الكامل. وأعتذر للسادة الحضور لأني لا أريد أن أطيل في تقديم الحديث الذي سنستمع إليه، ولكنّي سأكتفي فقط بتقديم المحاضر.

المحاضر معروف لدينا وأقول هذا تماشياً مع كثير من الناس أما أنا في الواقع لم أعرفه إلا من شهر أو شهرين، وقد استفدت منه فوائد كثيرة لأنّي قد أضفته إلى الكرام الأجلاء العلماء الذين يتشرّف الإنسان بالحديث معهم والحوار في الكثير من القضايا الموضوعية اليوم فكان هذا سبباً من الأسباب التي أُثري بها معلوماتي وأستطيع أن أشارك وأن أسهم في هذه الحياة العملية التي نعيشها كلنا.

فالدكتور عبد اللطيف – حفظه الله – من مواليد حماه، وحماه بتاريخها وبما قاله الشعراء فيها وبما مرّت به من أطوار جهادية لتعنون عنواناً خاصاً بهذا المحاضر وتدلّنا على منبعه وبيئته التي درج منها فتنقّل من حماه إلى حلب، ومن حلب إلى دمشق، ومن دمشق إلى فرنسا، فكانت له هذه الجولة الطويلة في الناحية الدراسية، لأنه – حفظه الله – قد بدأ دراسته في مدرسة دار العلوم الشرعية بحماه ثم بكلية الشريعة بجامعة دمشق وبحلب، ثم نال دبلوم التربية وأصول التدريس من جامعة دمشق، وكذلك درس في كلية الحقوق والآداب بجامعة دمشق.

فجامعة دمشق كان لها أثر كبير في تكوين شخصيته وتهيئته التهيئة العلمية والعملية للقيام بواجباته التدريسية.

وكما ينبغي أن نقول في كل مناسبة عن المحاضر أو المتحدث عن مؤهلاته العلمية فأنا أسمي هذه المؤهلات وثائق معرفية، فله أولاً الإجازة من كلية الشريعة بدمشق ثم دبلوم في الشريعة وأصول التدريس من جامعة دمشق، ثم دبلوم في اللغة الفرنسية من باريس، ودكتوراه من باريس.

أما نشاطه في مجال التدريس فقد كان ممتعاً ومتنوعاً وفيه تنقل من مكان إلى مكان، درّس أولاً بكلية الشريعة بجامعة دمشق وبكلية التربية، ثم بكلية الحقوق والآداب بجامعة قاريونس في بنغاري بليبيا، ثم كان وما زال – ولله الحمد – أستاذاً للدراسات والثقافة الإسلامية بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز.

أما أعماله العلمية فإننا لا نستطيع حصرها لأن الرجل – بحمد لله – يكتب غالباً في الصحافة وفي المجّلات العلمية بآرائه وموضوعاته حتى إذا تسنّى له الظرف أو الوقت قام بجمعها ونشرها. له من منشوراته:

- عقيدة النبوة عند المعتزلة من خلال مؤلفات القاضي عبد لجبار المعتزلي. وهذا في علم الكلام.
- ثم مشاركته في إصدار (معجم المصطلحات الحديثية) بالعربية والفرنسية الذي قام بطبعه ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق. فالرجل مجمعي.
- ثم هناك القضايا الفقهية والاجتماعية والتي تذكيها الخلافات بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي، وذلك كدعوى التعارض بين تشريعات الحدود وبين مفاهيم العصر. ثم التربية في الإسلام ودور العلماء وكبار رجال التوجيه الإسلامي.
- ثم المقالات والبحوث والترجمات المنشورة في الصحف والمجلاّت العربية.

وله إلى جانب ذلك مجموعات حول المواد التدريسية التي قام بها وذلك مثل:

- مذكرات في المذاهب المعاصرة.
- مذكرات في الفرق الإسلامية.
- مذكرات في الملل والنحل.

فالرجل مع ثقافته الشرعية وبخاصة في جانبي الفقه والحديث له عمق وإلمام بالقضايا الكلامية والمناهج العَقَدِيَّة بالنسبة لمختلف الملل والنحل الإسلامية.

فأنا أجدد شكري له على تلبيته لدعوتنا ولا أقول أدعوه لإلقاء المحاضرة ولكن أدعوه لينتزع منِّي الكلام حتى يتحدث، فليتفضل مشكوراً.

محاضرة فضيلة الدكتور

المداخلات

الدكتور عبد الله مناع:

بسم الله الرحمن الرحيم،،

خلال الثلاث دقائق أرجو أن ألخص الأفكار القليلة أمام المحاضرة الجميلة التي تفضّل بإلقائها الدكتور عبد اللطيف الصباغ.

أولاً: عندما دُعيت إلى هذه المحاضرة لم أكن أعلم أن موضوعها هو التنوير، لكنني كُنت قد دُعيت من قبل لحضور محاضرة أخرى للدكتور أبو بكر باقادر فلم أتمكن من الحضور، ولكن عندما دُعيت هذه المرّة ودون أن أعرف ما المحاضرة ومن المُحاضِر تعجّلت بالتلبية، كأنها حالة تعويضية أو كأنها حالة اعتذار أقدّمها للشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة.

ثانياً: محاضرة اليوم عن التنوير، كنت أتمنى لو أنّها حظيت بشيء من الدعاية والإعلام لأني أعتقد أنّ أمراً كهذا شديد الحيوية في هذا الوقت بالذات، ويحتاج إلى كثير من الدعاية والدعوات، الأمر في منتهى الأهمية.

ثالثاً: هذا الكلام عن التنوير. الكلام الذي تفضّل به الدكتور عن التنوير وأنّه مصطلح غربي في الأساس وأنّه ظهر في القرن الثامن عشر وأنّه بعد عصر النهضة، وأنّه.. وأنّه، كلّه كلام جميل، لكن بعد هذه المقّدمات المبشِّرة والموحية استقرَّ بنا القرار أن هناك تنوير إسلامي وله نوعان، نوع كذا ونوع كذا، ودخلنا مرّة أخرى في النفق. أنا أريد أن أقول: إن التنوير هو التنوير وأن المحاولة بإدخاله في الإسلام من نوعين: نوع محافظ ونوع تحديثي، أنا أعتقد أنه يجعلنا نعود إلى المرّبع الأول، الذي نريد الخروج منه إلى عالم آخر. الاستنارة هي القبول بالتقدم والتطلّع إليه، لكننا أن ندخل أيضاً كل شيء في الإسلام، وأنّه.. وأنّه، وهناك وحي، وما دخل الوحي في هذا الأمر؟ أنا في اعتقادي الاستنارة تناقش قضايا الإنسان وهموم الإنسان وأحلام الإنسان، وقد يكون الإنسان ضجّ من وضع الكنيسة في القرون الماضية لكن الحقيقة الاستنارة تدعو إلى خطوة للأمام أو خطوات إلى الأمام أو رُشْد لهذه الخطوات.

لا أريد أن أطيل، وتمنياتي لو أن هذه المحاضرة أُعيدت، والله لكان أمراً طيباً ولكن على أساس أن تكون دعوة أوسع وأكبر. وشكراً للدكتور للجهد الذي بذله في هذه المحاضرة الجميلة، والسلام عليكم.

معالي الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي:

شكراً لسعادة الأستاذ على هذه المداخلة وأريد أن أعتذر عن التقصير في الإعلام الذي ليس راجعاً إلينا أو للمُنظمين وإنما هو الإعلام نفسه، فإن الاستجابة لمثل هذه الأشياء لا تكون إلا بالإلحاح وقد ألححنا واتصلنا فلم يحضر إلاّ العدد القليل من الإعلاميين، ونحن نعاني بالنسبة لقضية الإعلام معاناة شديدة في كل مرّة، فَثِقُوا بأن الجهود متواصلة، لكن بحضور أمثالكم، والمناقشة في مثل هذه الموضوعات وإثارة الاهتمام بها سيكوّن لهذه الاجتماعات عدد أكبر وأكبر في كلّ مرّة يُحقق الرغبة المطلوبة من إقامة هذا المنتدى وتقديم المحاضرات والدراسات فيه.

وبعد هذه الكلمة التي استمعنا إليها أتعرّض إلى كلمة أخرى طلبها الأستاذ محمد خضر الشريف، فليتفضّل.

الأستاذ محمد خضر الشريف:

بسم الله الرحمن الرحيم،،

الحقيقة هو سؤال موجّه لسعادة المحاضر الدكتور عبد اللطيف، ولكن أُعرّج على تعقيب الأستاذ عبد الله منّاع وهو إعلامي قديم وأستاذ جيل لمن لم يعرفه من الحاضرين. الإعلام كان له حضوره، وقد نشر اليوم خبر في صحيفة المدينة في الصفحة الإسلامية، إعلان عن هذه المحاضرة وفيها صورة معالي الشيخ الدكتور ابن الخوجة، حفظه الله، ولكن هذا كان باجتهاد شخصي في الحقيقة. يعني أنا اتفق مع أستاذنا الأستاذ عبد الله منّاع من أنه لم يكن هناك تواصل، كان التواصل قَدَراً يعني الدعوة أتت قَدَراً ليست لي كمشرف على القسم الإسلامي في الصحيفة إنما كانت لأحد الكُتّاب في الصحيفة ثم انتهزت هذه الدعوة الغير موجّهة إلي وكتبت عنها هذا الخبر الذي اعتبره أنه كان انفراداً اليوم عن بقية الصحف الأخرى.

أما سؤالي للمحاضر فالحقيقة كلمة التنوير ونقصد بها التنوير الغربي العصراني الراديكالي أو التحريفي لأنّه يدخل معها في هذه النقطة هو شيء ظاهره الرحمة وباطنه من قِبَلِه العذاب. أصبح هذا الفكر التنويري فكراً تسويقياً يُسوق عبر النخبة، ومن ثمّ على النخبة أيضاً أن تُسوِّقه للعامة والبسطاء. يدخل هذا التسويق عبر كل ما يريد أن يقوله أصحاب حركة التنوير الراديكالي الغربي التحريفي. هذا الشيء الذي يُصادم كثيراً من قيمنا ومبادئنا وأصول ديننا، وللأسف كما قلت يُسوّق عبر النخبة وليس

عبر العامّة أو البسطاء. مَنْ المسؤول عن توعية هذه النخبة التي بيدها أن تُسوِّق هذه الأفكار المتضاربة والمتصادمة مع ديننا الإسلامي الحنيف وهم يُجرِّعون السمّ الفكري عبر عسل الأفكار المتبرّجة أو المستنيرة؟ يعني بمعنى أصح أو أدق مَنْ يُصلح الملح إذا فسد؟ وشكراً.

الدكتور أحمد الإسلامبولي:

بسم الله الرحمن الرحيم،،

في البداية أتوجه بالشكر إلى مجمع الفقه الإسلامي المتمثّل في معالي أمينه العام الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة، وأتوجّه بالشكر أيضاً إلى منظمة المؤتمر الإسلامي على استضافتها لهذا المنتدى، كما أشكر أستاذنا المحاضر الدكتور عبد اللطيف الصبّاغ.

بعد ذلك أرى – والله أعلم – أن ظهور ما يسمّى بالتنوير هو تعبير عن التمّرد على الظلام والتخلّف الذي عانى منه الغرب في العصور الوسطى وفي فساد الكنيسة، وقد أساءوا بفساد الكنيسة إلى كل نظرة للأديان.

الجزئية الثانية تتعلق بمفهوم النور والضياء.

فهناك من الأقوال التي ملت إليها وهي ترى أن الضياء يشتمل على حرارة مع النور، فقد قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا**﴾[1] حتى إن الرعد يتضمّن حرارة تُحرق، وقد ورد في سورة البقرة ما يؤكد ذلك.

أما كلمة (النور) ونسبتها إلى رب العزّة جلّ وعلا فقد ورد عن الشيخ الشعراوي ما يفيد في النور أن النور لا يُرى وهذه حقيقة، نحن نرى أثر النور على الأجسام الماديّة لكن النور في طبيعته لا يُرى ولكن تُرى به الأشياء، وهكذا ربّ العزّة جلّ وعلا يُرى من خلال إعجازه في خلقه وهو في الحقيقة غيبـــي.

بعد ذلك إذا نظرنا إلى مفهوم استخدام العقل فلماذا لا نؤصِّل هذا الفكر بالنظر إلى ما ذهب إليه المعتزلة حتى لا ننسب بداية إعمال العقل إلى الغرب، فالمعتزلة يقولون أن العقل يستطيع أن يُدرك الحُسن والقُبح في الأشياء حتى ولو لم يترل الرُّسل ولهم في ذلك أقوال كثيرة.

هذا من أجل الإشارة إلى أهمية تأصيل مسألة إعمال العقل.

---

[1] ٥ (سورة النحل)

كذلك فإن الذي أطلعت عليه أن الغرب يختلف في نظرته من حيث المنهج العلمي إلى أن أي عالم غربي يُرجِّح أو يودّ أن يأخذ إما بالمنهج الاستنباطي التجريدي العقلي أو بالمذهب الاستقرائي التجريبي، ولكن أن يمزج بين المنهجين فقد سبقهم في ذلك علماء مسلمون أوائل مثل قصة حي بن يقظان التي ذكرها ابن طفيل.

فنذكر من أعلام الغرب مثل ديكارت، وكونت، وأمثالهما الذين كانوا يتبنون منهجاً واحداً أمّا الذي استمعنا إليه اليوم فإن هؤلاء التنويريين يرون الجمع بين المنهج الاستقرائي مع استخدامهم للعقل كمنهج استنباطي.

وأريد أن أسمع من محاضرنا الفاضل تعليقاً على هذه الجزئية.

بعد ذلك فيما يتعلق بالقول باعتماد القرآن دون السنّة، فهذه نظرة خبيثة الغرض منها أن يستعجم القرآن على إفهام الناس لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[1]. فالسنّة النبوية إذا فصلنا بينها وبين القرآن فقد حكمنا على القرآن بأن يستعجم على الأفهام.

آخر مسألة أودّ أن أتحدّث فيها هي ليس كلّ ما تناوله الغرب يحتاج إلى أن نجاريهم فيه وأن نأخذ أفكارهم ونحاول أن نلبسها ثياباً شرعية حتى لا نكون كمن يتبعهم في جحور الضِّباب، وشكراً جزيلاً.

الدكتور العيّاشي الفدّاد:

بسم الله الرحمن الرحيم،،

أولاً أحب توجيه وافر الشكر والتقدير لسماحة الأمين العام على جهوده المباركة، والشكر أيضاً موصول للأخ المحاضر الدكتور عبد اللطيف على هذا الجهد المتميِّز.

في الحقيقة هي مجّرد أسئلة، يعني مواصلة لما ذكره الدكتور أحمد الآن فيما يخصّ المعتزلة، كُنّا نودّ أن نجد مقاربة بين فكر التنويريين وبين مذهب المعتزلة لاعتبار أن التنويريين شعارهم (لا سلطان على العقل إلا للعقل)، وهو قريب مما نادى به المعتزلة، كُنّا نودّ أن تتضح هذه الفكرة أكثر.

أيضاً ورد في المحاضرة كثير من الضوابط والمعايير للحكم على الأشخاص من خلال الاتجاهات المذكورة لكن كُنَّا نودّ أيضاً لو كانت هناك ضوابط ومعايير للحكم على الأفكار، على أفكار التنويريين بدلاً من الأشخاص.

---

[1] ٤٤ (سورة النحل)

للشيخ محمد قطب دراسة كبيرة في فكر التنويريين ربما أنها دراسة حديثه تربو عن الثمانين صفحة، لم أجد المحاضرة أفادت من هذه الدراسة، هل هناك سبب علمي أو شيء آخر؟. وشكراً لكم.

الدكتور عادل قوته:

بسم الله الرحمن الرحيم،،

أشكر السيد الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي وأشكر أستاذي الأستاذ الدكتور عبد اللطيف الصّباغ على هذه المحاضرة المنوِّرة. وعندي بعض الاستفسارات والتساؤلات.

القواعد الأربع التي أُثبتت في تقويم المفكرين في غاية الجودة والإحكام وهي معايير تقويمية عالية، كنت أرغب أن يكون هناك ذكر لبعض النماذج وتقويمها من خلال النصوص والاتجاه العام لكي تكون شاهداً على هذا التصنيف.

أشعر أن هناك غير قليل من المناقشة في تصنيف الاتجاهات، وفي إثبات الأعلام تحت كل تصنيف ولا يمكن أن أدع لنفسي الانتقال عن هذه النقطة دون أن أناقش ذكر الإمام الكبير الطاهر بن عاشور وأن يُوصف في بداية سلكه مع زمرة أو مع مجموعة من الأعلام من أنّه شخصية تقبل التجاذب أو التنازع، وأيضاً حول ذكر علي عبد الرّازق في تصنيف الأستاذ الدكتور محمد عمارة أنّه نفى عنه الفكر التغريبي بل على العكس يعني فيما يغلب على ظنّي وأظنّ أستاذي الكبير الدكتور عبد اللطيف يعرف أنّه وقع بيني وبينه محاورة حول هذا الأمر وهو أن الدكتور محمد عمارة يُثبت أن الشيخ علي عبد الرّازق كان قاصداً ومُثبتاً لنفي الفكر السياسي ونظام الحكم عن التشريع الإسلامي. وبالنسبة لقضية التجديد والتنوير أظنّ أن هناك نسبة منطقية بينهما يمكن أن تكون محلاً للمناقشة من جهة العموم والخصوص الوجهي. وشكراً لكم.

الدكتور حسن منّاعي:

بسم الله الرحمن الرحيم، صلَّى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

شكراً يا سيدي على استضافتي أولاً لهذه الندوة وشكري كذلك للأستاذ الفاضل المحاضر.

عندي ملاحظة وجيزة حول مسألة المصطلح.

في الحقيقة هذا المصطلح مثلما أشار أحد زملائي منذ قليل هو مصطلح مضاد أو مُقابل لعصر كامل هو عصر الظلمات، ذلك أن العصر الذي برزت به هذه الكلمة يُسمى عصر التنوير، فقيام مصطلح مقابل مصطلح معنى ذلك أن ثورة بأكملها قامت ضد جملة من الأفكار وجملة من المعطيات تصدرتها الكنيسة من ناحية، واستطاعت هذه الكنيسة أن تبيع صكوك الغفران وأن تتكلّم باسم الإله على هذه الأرض وتُعطي للناس مقاعد مقابل أموال في الجنة، كذلك استطاعت هذه الحقبة الزمنية أن تُكرّس مفهوماً عَقَدِياً سياسياً وهو مفهوم الحق الإلهي دون دماء، كما استطاعت هذه الحِقبة الزمنية أن تُكرِّس مفهوم الإقطاع في مجتمعهم، ومن هنا اختلطت المفاهيم الاقتصادية بالمفاهيم الدينية بالمفاهيم الاجتماعية فجاءت ضدّها ردّة فعل بأكملها في عصر كامل سُمي بعصر التنوير. بطبيعة الحال نجد قافلة من العلماء الكبار الذين استطعنا أن نصفهم بهذه الصفة (الصفة التنويرية). هذا المصطلح جُرَّ إلينا جرّاً أو جُرّ إلى ثقافتنا الإسلامية، هذا الجرّ جعلنا نقع في شباك الغرب ونقسّم وفق هذا المصطلح علماءنا وفق هذا المنظور التنويري حتى نصل في النهاية إلى أن نضع أحد علمائنا مثلما رأيت هنا وهو الشيخ الطاهر بن عاشور في بوتقة فكرة الاجتهادي ومن ورائه زمرة من العلماء المسلمين سواء كان محمد عبده أو الأفغاني وغيرهم، هؤلاء جميعاً كانوا علماء مجتهدين، ومجتهدون وفق جملة من الشروط والقواعد التي وضعها علماء المسلمين. فالمصطلح الحقيقي الذي يحمل مفهوم التنوير هو الاجتهاد، وهي مفاهيم إسلامية، والإسلام منذ بدايته حين نبع عاين أو لاحظ مسألة المصطلح هذه بداية من القرآن نفسه، بتسمية القرآن قرآناً لم يُسمّه شعراً أو نثراً أو يُسمّيه غير ذلك، ولم يسمّ الآية بيتاً في القصيد أو فقرة أو غير ذلك. ثم أيضاً نفس المفهوم (الاجتهاد) الذي هو مفهوم قرآني تنويري في صلب الإسلام. ثم أيضاً أضف إلى ذلك أنه لم يُقسّم العالم إلى ظلام وإلى نور بل قسمه إلى جاهلية وإسلام. فالجاهلية تعني نكران الجهل بالفطرة، الجهل بكثير من المفاهيم التي هي في فطرة الإنسان، ومن هنا جاء الإسلام موافقاً لفطرة الإنسان.

ففي ظنّي أن جرّ المصطلحات الغربية وجعلها تقوم مقام كثير من المصطلحات الإسلامية ثم تجرّنا إلى تقسيم الفكر الإسلامي وِفْقَهَا أعتبره ربما نحيد به عن الحقائق الإسلامية التي نكون عليها. وشكراً لكم.

الأستاذ إسماعيل الحاج:

الشكر أجزله للعالم الحبيب ابن الخوجة على الدعوة الكريمة، والحقيقة لقد وصلتني هذه الدعوة مرّتين، وأؤكد إصرار الأمين العام على الدعوة والإصرار على الحضور قد كان وثبت بالنسبة لي شخصياً، واستمتعت كثيراً بهذه المحاضرة وبالموضوع الشائك الذي تمكّن الحبيب الدكتور بصورة ممتازة أن يُوصِّل ويعصف الأفكار كما ذكر في هذا الموضوع الكبير، وإن كانت كل فقرة من فقراته تحتاج إلى محاضرة وإلى ساعات أكبر للنقاش وللتداول وللحضور. وموضوع التنوير موضوع كبير – كما ذكر المحاضر – وهام وشائك ولم يذكر كما ذكر المحاضر أنه لم يُحدّد خلاصات لهذه الأفكار وعصف الأفكار الذي ذُكِر ولكنه وضع مؤشرات وفسّر المصطلحات وتابع دلالات الموضوع وقسّم في الآخر هذه التقسيمات بناءً على الاجتهاد وأحسب أنّها قد قرّبت الصورة بشكل كبير جداً يتيح للباحثين وللمهتمين بالمجال الإسلامي والفكر الإسلامي أن يبحثوا في هذه الموضوعات ويحذوا حذو المجمع الفقهي الكبير وبالدور الكبير الذي يقوم به أيضاً في التنوير، لأنني أحسب أن منظمة المؤتمر الإسلامي ومجمع الفقه الإسلامي يقومان الآن بدور كبير جداً، نرجو أن يتجاوز هذه الأرض المباركة المملكة العربية السعودية إلى مواقع أخرى كالسودان والدول الأخرى حتى تستفيد من هذا الجهد الكبير عن طريق نشر هذه المحاضرات والمنتديات حتى تصل إلى مناطق أخرى وبلدان أخرى تحتاج إلى هذا الجهد الكبير. وشكراً جزيلاً.

الأستاذ أسامة بن حمزة الحازمي:

بسم الله الرحمن الرحيم،،

سؤال لسعادة الدكتور وجزاه الله خيراً وجزاكم الله خيراً على دعوتنا، السؤال: ألا يعتقد الدكتور أن العالم الإسلامي بأكمله بسبب الأحداث الحالية يقع تحت طائلة الدعوة إلى الفكر التنويري التغريبـــي العصراني التحريفي وبهذا يتحقق قول الرسول ﷺ أو كما قال: (يعود الإسلام غريباً كما بدأ غريباً) ؟. وشكراً.

الدكتور حامد الرفاعي:

بسم الله الرحمن الرحيم،،

شكراً معالي الدكتور وأنا أوضّح لأخي الدكتور عبد الله منّاع بأن المجمع كان مهتماً كثيراً في الإعلام حقيقة، وأنا جاءتني دعوة ثم جاءني هاتف يؤكد عليّ الدعوة، وهذا في الحقيقة جهد مشكور ومُقدّر ولكن نحن طبعاً نؤيّد الدكتور عبد الله بأن نطلب المزيد. يعني الجهد كان مقدراً ولكن نطلب المزيد من أجل هذا الجهد المبارك للمجمع ومن أجل هذا الحضور.

والشكر لأخي الدكتور عبد اللطيف فقد قدّم محاضرة قيّمة أكاديمية وقد كان ملتزماً التزاماً دقيقاً وموضوعياً بما ألزم نفسه بمفردات محاضرته، وأنا شخصياً كنت أتمنى أنّه بعد هذا العرض التعريفي في مفاهيم واتجاهات حركة التنوير أن نسمع رؤيا ومنهجية لآلية لحركة التنوير كيف نتعامل معها في حياتنا القائمة الآن؟ يعني ما نحتاجه نحن صحيح التعرُّف على الآخر والتعرّف على رؤية الآخر، هذا مفيد لاشك، ولكن الشيء الذي هو أكثر أهمية ولعلّ الوقت لم يُسعف الدكتور عبد اللطيف ولعلّه في محاضرة أخرى أن يكون الحديث عن رؤية منهجية وآلية لمبدأ التجديد والتطوير الذي يحتوي كل هذه المصطلحات وهو أشار إلى هذا المعنى، يعني الإسلامي قرّر مبدأً عظيماً وهو مبدأ التجديد، والتجديد وعاء، فهو كلمة موسوعية تحتوي كل هذه المصطلحات بكل غاياتها وأهدافها الإيجابية. وطبعاً أتمنى أن يكون هذا في المستقبل.

أنا لي توضيح بسيط على كلمة الأخ الصديق الدكتور عبد الله منّاع وأنا كلمتي سأدفع بها عنه حتى لا يُفهم خطأً، يعني عندما قال: (ما علاقة الدين بالتنوير؟) طبعاً هو لا يقصد معنى سلبياً، أنا أعرف الدكتور عبد الله منّاع وأعرف ثباته الديني وصلته بدينه، ولكن هو يقصد كأنني بنفسه أن يقول: ترجمة لقول الرسول ﷺ لأصحابه: (أنتم أدرى بشؤون دنياكم)، يعني هناك فيه مساحة للدنيا، صحيح يجب أن تبقى في إطار الدين لكن يجب أن تكون لنا مساحة واسعة من حريّة تفعيل رؤيتنا الدنيوية، كيف نعالج قضايانا الدنيوية؟ طبعاً في إطار ثوابتنا العقدية. نحن هنا كمسلمين كلٌ منّا يعتقد أن الإسلام يبقى هو المكوِّن الأساس للتكوين التربوي ولمنطلقات فكرنا ومنطلقات رُؤانا الحياتية إلا أنّ هذا لا يحجزنا ولا ينبغي أن يحبسنا في إطار المقدّس وتخويف المقدّس، ويجب أن أعرف أنني حرّ في ساحة من الساحات، ويجب أن أفكّر بحرية لأُبدع كيف أعالج هذه الحياة؟ لأننا نحن بحاجة في الحقيقة الآن كمسلمين إلى أن نُفكّر مع الآخر، يعني نحن عندنا قاعدة ربّانية [الاستخلاف في الأرض] وقال تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[1]، يعني نحن والآخر مستخلفون في الأرض فهو يؤدي

[1] ٣٠ (سورة البقرة)

دوره في تحقيق مهمّة الاستخلاف في الأرض بعيداً عن الدين، وأنا عليّ أن أشاركه بتفعيل مهمة الاستخلاف في الأرض بالترشيد الديني. إذن فيه بيني وبينه أشياء مشتركة، وأنا في إحدى مقولاتي أو في أحد كتبي – وليس هذا للدعاية ولكن نحن في مجلس أخوي – قلت العبادة في الإسلام في إطار مهمة الاستخلاف نوعان: عبادة روحية وهذه الذي قد نختلف مع الآخر فيها ولكن هناك عبادة عمرانية، عبادة حضارية، هذه العبادة العمرانية الحضارية أنا والآخر وكونه هو حسب التعبير في القرآن ليس له إلا النار فإذن الله ﷻ يُوضّح: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ**﴾[1]، إذن هم هؤلاء الذين ارتقوا في الحياة الدنيا وفتحوا الآفاق واخترعوا وفَعّلوا كل مناحِ الحياة هذا حقّهم في الدنيا وقد حفظ الإسلام لهم، فإذن نحن حقّنا معهم محفوظ ولكن بترشيد ربّاني وبأمل أخروي.

أنا أرجو أن يبقى هذا المعنى ولعلّ الدكتور عبد اللطيف وهو جدير ومتمكّن أن يكون موضع محاضرة قادمة كيف نحن نُقدم رؤيتنا التنويرية ونهجنا التنويري وآلياتنا التنويرية من أجل تفعيل مهمة الاستخلاف في الأرض مع الآخر. وشكراً.

مساعد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي

سعادة الأستاذ الغزالي:

بسم الله الرحمن الرحيم،،

أنا فقط أريد أن أشير إلى نقطة أساسية هي قضية التنوير فهي تمسّ مرحلة معيّنة، فهي ليست كلمة عامة هي عبارة عن فلسفة عقلانية تنويرية معناه تزيل اللبس وتزيل الظلامية وتستعمل العقل، وبعض القيم العقلية المعروفة. هذه المرحلة معيّنة لم يمضِ عليها تقريباً نصف قرن، منهم أوجست كنت، ومنهم الفلاسفة المعروفين، وأيضاً فيه نقطة أنها جاءت لتغيير العقل المتأخرة والمقصود منها محاربة الكنسية، ولهذا عندما ذُكر الدين، هنا ليس مقصوداً به الدين بل المقصود به الكنيسة في ذلك الوقت.

يمكن أن أقول إنها هي الكاثوليك لأنها كانت تتدخل في المعرفة وإلى آخر ما هو معروف عنها، فهذا هو المقصود. ثم بعد ذلك الدين فالدين بصفة عامّة هو الكنيسة، ولهذا فالنقطة واضحة هي العقل. عندما جاء هيجل أو كنت إلى آخر ذلك تغيرّت فلسفة الواقع يعني فاتها زمان أو تجاوزها. ولهذا

[1] ١٥ (سورة هود)

جاءت الوضعية ثم بعد ذلك جاءت الوجودية، هذه كلّها مذاهب جاءت بعد ذلك، وحتّى العولمة، العولمة الآن تغيَّرت المفاهيم أبداً، المفاهيم القديمة تجاوزها أيضاً الزمان. هذا ما أحببت أن أشير إليه.

الدكتور عبد اللطيف الصبّاغ:

بسم الله الرحمن الرحيم،،

أنا أحبّ أولاً أن أشكر جميع الذين تفضّلوا بتدخلهم وعلى رأسهم فضيلة الشيخ الأستاذ محمد الحبيب ابن الخوجة على ملاحظاته وعلى تعليقاته وتعقيباته المتعدّدة فشكر الله له. وشكراً للإخوة الفضلاء. وأرى بأن الموضوع يعني هو من الحيوية بحيث أثار كثيراً من التساؤلات وكثيراً من الملاحظات، وهذا مقصود لا شك في البحث، والموضوع كما قلنا واسع وشائك وقد يحتاج إلى محاضرات أكثر، حيث إن كل جزئية منه تحتاج إلى محاضرات، وأنا اعترف لكم بأن هذا الجهد متواضع وهو جهد المُقِلّ وأن الموضوع يحتاج إلى مزيد من الدراسة والتعمّق.

اسمحوا لي أن أبدأ بآخر ملاحظة وهي أننا بحاجة إلى رؤية جديدة للتنوير وآلية جديدة لمبدأ التجديد والتطوير، هذا كلام صحيح وكلام سليم بلا شك، ولعلّني ذكرت شيئاً من ذلك عند الحديث عن التيار أو الاتجاه الإسلامي التجديدي التحديثي، وعن الفرق بين هذا الاتجاه وبين الاتجاه المحافظ، وقلت إن هناك بعض الأفكار التي يتميّز بها كل اتجاه من هذين الاتجاهين وَمِلْتُ شخصياً إلى القول بأن الاتجاه التحديثي هو أصلح للعصر والتعامل مع معطيات العصر الحديث.

في ذهني لا أُخفي عليكم منذ عدّة أيام أن أُخصّص دراسة جديدة عن ملامح التنوير الإسلامي المنشود أو الحديث، يعني بشكل عام.

أحبّ هنا أن أذكر أيضاً نقطة وهي قضية: ما شأن العلاقة بين التنوير وبين الإسلام وبين النص وبين كذا، وأن التنوير هو التنوير، ليسمح لي الأستاذ الكبير الأستاذ عبد الله المنّاع أن أختلف معه بأن هذا – قل – يتعارض مع جوهر المحاضرة لأن جوهر المحاضرة ينصبّ على تمييز بين تنوير وتنوير، وعلى عدم تعميم مصطلح التنوير بشكل مطلق.

فأنا أرى بأنه ليس هناك تنوير واحد وإنما هناك تنويرات، هناك أنواع كثيرة من التنوير وكلّ يدّعي أن هذا هو التنوير.

وكلٌ يدّعي وصلاً بليلى ،،، وليلى لا تُقرّ له بذاك

على كل حال أحبّ أن أقول أيضاً بموضوع العبادة العمرانية، هذا كلام جيّد لكن نحن نتكلّم عن العمران ونتكلم عن التنمية ونتكلّم عن التربية ونتكلم عن التقدّم لكن في نفس الوقت نُواجَهُ بسؤال محوري: أيَّةُ تنمية؟ أيَّة حضارة؟ أيّ تطوّر أيّ تحديث؟ حدّد لي هذا التحديث الذي تريده، ماذا تُريد من كلمة التحديث؟ أيّ اتجاه؟ هل هو اتجاه لا ديني؟ هل هو اتجاه إباحي؟ هل هو اتجاه معادٍ للقيم الأخلاقية؟ ما هو؟ إنساني؟ حيواني؟ كذا؟ لابدّ أن نحدّد وأن نُميِّز وأن نُفصّل. في رأيي هذه هي النظرة العلمية الدقيقة في هذه الموضوعات. كثير من الأسئلة تُطرح حول أيّة تنمية؟ هناك تنمية بشرية وتنمية اقتصادية وتنمية مادية وتنمية روحية، وغير ذلك، فأيّة تنمية؟ أيّ عمران؟ وهكذا.

بالنسبة لما ذكره الأستاذ أسامة، أنا أبدأ من الأخير بالرجوع إلى الأول، ما ذكره الأستاذ أسامة بن حمزة حول عودة الإسلام وأن هناك اجتياحاً وغزواً ونعيش تحت تأثيره، هذا ليس غريباً فالعولمة كلّها هي محاولة – عند بعضهم – بفرض نموذج فكري أو نموذج اقتصادي أو نموذج ثقافي وتعميمه على جميع الناس باسم العولمة مثلاً. فإذن هذا ليس غريباً وهو أمرٌ واقع، وصحيح أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبي للغرباء. علينا نحن أن نُحسن العمل والتصّدي ليس فقط بالصراخ وإنما بالعمل والدأب وإطلاق الطاقات والتفعيل الحقيقي للطاقات الإسلامية.

ما ذكره الأخ الكريم المهندس إسماعيل الحاج، أظنه لم يكن هناك سؤال.!

الدكتور حسن منّاع – جزاه الله خيراً – أضاف إضافات طيبة وهي أن مصطلح التنوير كان مقابل عصر الظلمات وهذا صحيح ونحن لا ننكره، لكن أحب أن أقول هنا بأن حركة التنوير بعد عصر النهضة وبعد النهضة الأوروبية، فهي مرحلة متأخرة إذن. صحيح أن مقابل التنوير الظلامية أو التعمية، وأن نشأة التنوير بالمعنى الغربي له في أوربا كان وراءها نظرة الكنيسة وظلماتها وموقفها من العلم ومن المفكرين الأحرار بحيث يمكن أن تعتبر ظاهرة غربية تاريخية كنسية، هذا صحيح لكن ليست فقط هي ضد عصر الظلمات، نقول هي ليست ضد القرون الوسطى فقط لأن القرون الوسطى جاءت بعدها عصر النهضة وجاء بعدها النزعة الإنسانية ثم جاءت حركة الأنوار.

ما ذكره الأخ العزيز الدكتور عادل قوته في تساؤلاته وفي المعايير التقويمية وأنّه كان ينبغي أن نُطبقها على بعض الشخصيات. كلام طيّب ولا شك أن هناك مناقشة حول هذه المعايير ومن يدخل تحتها ومن لا يدخل، وكيف نصنِّف هذه الشخصيات.

بالنسبة للشيخ علي عبد الرازق وكتابه وكيف أدرجته ضمن المبرّئين من التنوير، لقد برّأه الدكتور عمارة في رسالته الصغيرة عن التنوير. كما أنه ذكر في كتابه (الإسلام بين التزوير والتنوير) أنّ علي عبد الرازق قد رجع في آخر حياته عن آرائه التي تتعلق بالإسلام وأصول الحكم، بل هناك أكبر

من ذلك فهناك روايات عنه أنّه ليس هو الذي وضع هذا الكتاب وإنما وُضع على لسانه، وهناك كلام طويل فالقضية هذه تحتاج إلى بحث طويل.

بالنسبة لما ذكره الأخ الكريم الدكتور العيّاشي ما هي الصلة بين التنوير والمعتزلة ودراسة الأستاذ محمد قطب عن التنوير؟، أعترف بأنني لم أطلع مع الأسف على دراسة الأستاذ محمد قطب الأخيرة، ويبدو أنها أخيرة وهذا من قصوري وعدم تتبعي، والأستاذ محمد قطب محل تقدير واحترام ولا شك أن له أفكاراً ثاقبة في موضوعات شتّى وخاصة في المواهب الفكرية المعاصرة.

أمّا الصلة بين التنوير والمعتزلة، التنوير الإسلامي – تريد أن تقول يعني – لا شك أنا لم أتكلم في الحقيقة عن تاريخ التراث الإسلامي، عن التنوير الإسلامي عند المسلمين الأوائل، الإسلام كله حركة تنويرية في رأيي أنا، لا شك أنه يدخل فيها وبدرجات، ونحن نعلم أن المعتزلة لم يكونوا محل رضا من جميع المسلمين والمعتزلة اعتزلوا وعُزِلوا وحُوربوا إلى حدّ كبير، كما أنه ليست المعتزلة فقط هم أصحاب الاتجاه التنويري أو العقلاني، هناك ابن رشد مثلاً وهو معروف في هذا وجمع بين الحكمة والفلسفة وبين العقل والنقل وبخاصة في كتابه العظيم (مناهج الأدلة في عقائد الملّة) هذا الذي درأ عن نفسه فيه كل تهمة يتهمه بها العقلانيون الماديون أو الإلحاديون أو المعادون للدين، فأثبت فعلاً أنه يريد تنويراً إسلامياً داخلياً من داخل الدين نفسه وليس من خارجه.

أيضاً ما ذكره الدكتور أحمد الإسلامبولي حول المعتزلة ونظريتهم في الحُسن والقُبح فهي ليست فقط أن العقل هو الذي يُدرك الحسن والقُبح في الأشياء أو التحسين والتقبيح العقليان هذه قضية كبيرة ومسألة من مسائل علم الكلام وعلم أصول الفقه كذلك. وعلى ذكر هذه القضية أُحبّ أن أنبِّه إلى أن علماء السلف وبخاصة ابن تيمية وابن القيم الجوزيّة يتفقون مع المعتزلة في الأشياء لكنّه لا يُشرِّع وهذا هو الفرق بينهم، فهُمْ كما يقولون يُدرِكُ ولا يُوجد لأن الإيجاد هو من الشرع كما هو الرأي السائد عند المسلمين. قد يُدرك العقل الحُسن والقبح في الأشياء ولكنه لا يُوجِد أو لا يُشرِّع.

أيضاً أن التنوير كان ردّ فعل. لا شك أن التنوير كان رد فعل..

أيضاً كذلك تساءل الأستاذ خضر الشريف وقال: من المسؤول عن توعية هذا النخبة التي تُبشّر بحقيقة التنوير؟ هذه مسؤولية نخبة النخبة. إن كانت النخبة هي التي تنخدع بالتنوير وتُبشِّر به هكذا على المعنى المنحرف فإذن لم يبق إلا نخبة النخبة فهي التي تُبشِّر وهي التي تكشف وهي التي تُوضِّح وتحدّد هذه المفاهيم.

أما ما ذكره الأستاذ عبد الله منّاع فأظن أنني قد رددت على ما ذكره أو وضّحت وجهة نظري وأنا معه ومع الأخ الدكتور حامد من أن الإسلام يدعو إلى حريّة الفكر وحريّة العمل وحريّة

البناء وحريّة العمران وأن العقل أساسي في هذا لكن ينبغي أن نفهم بشكل مطلق ونهائي أن الإسلام يُقرُّ كل ذلك في إطار منظومته العقائدية لا يخرج شيء من تصّرفات الإنسان الفردية السلوكية الاجتماعية العمرانية الحضارية الصناعية السياسة الاقتصادية إلاّ في ظل التصوّر الإسلامي العام عن الحياة والكون والإنسان، وفي إطار مفهوم العبادة العام الشامل في الإسلام. ومن هنا يُصبح كل عمل وكل نشاط هو إسلامي من هذه الناحية. ونحن نتكلّم ما علاقة الوحي؟ يعني نتكلّم عن أُناس يُنكرون الوحي، وينكرون النص، وينكرون الدين، وينكرون الأنبياء والرُّسل كما كان البراهمة وهي فِرقة من فِرق الهنود القدماء وقد ردَّ عليهم كانوا ينكرون النبوَّات ويقولون بأن العقل وحده كافٍ في الوصول إلى الحقيقة، وقد ناقشهم علماؤنا الأقدمون مناقشة طويلة مستفيضة في كُتب علم الكلام وفي كُتب العقائد وعلى رأسهم القاضي عبد الجبّار المعتزلي الذي كنت صديقه الدراسي في البحث عن عقيدة النبوّة عند القاضي عبد الجبار فردّ عليهم في صفحات طويلة وحتى علماؤنا في مذهب الأشاعرة ومذهب الماتريدية ردّوا عليهم كانوا يردّون على البراهمة القائلين بإنكار النبوّات وبكفاية العقل عن الوحي.

وأخيراً فإنني أحيي الأخ الأستاذ الدكتور جمال عطية الذي شرّفنا بحضوره وشرّفني شخصياً بالتعرّف عليه ورؤيته وأنا الذي تتلمذت على كتبه وعلى مقالاته المختلفة، ولم أكن أعرفه شخصياً لكن قرأت كثيراً له وتأثرت بكتاباته وما ذكره عن تأثر حركة التنوير الغربية بالفكر الإسلامي هذا أمر مُقدر ولا مجال لإنكاره لكم، مع الأسف أنّ حركة التنوير انحرفت عن مسارها العقلاني الديني الذي كان يجمع بين العقل والوحي. نحن نعلم بأن توماس صاحب الكتاب المشهور الذي قام بعملية إصلاحية عقلانية في الفكر المسيحي اللاّهوتي قد تأثّر كثيراً بالغزالي وتأثر بابن رشد وألّف كتابه المشهور (المجموع اللاّهوتي)، نحن نعرف هذا، وتأثّر به أيضاً غيره من المفكرين والباحثين حتى حركة الإصلاح الديني في أوربا تأثّرت بالفكر الإسلامي وبالعقيدة الإسلامية، كما أنّ الحضارة الغربية بشكل عام في مختلف مناحيها قد تأثرت بالإسلام، لا شك أن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية كانت أحد عوامل النهضة الأوربية والإنسانية الأوروبية والعقلانية الأوروبية ولكنّها ضلّت الطريق.

أشكركم جزيلاً وأستميحكم العذر لتقصيري وضعفي وأنا أعترف وقد تقولون إنني أتواضع لكنني أعترف بأن هناك ثغرات كثيرة في البحث الذي قدّمته، أرجو الله عزّ وجل أن يعينني على ملئها وعلى تطوير هذا البحث إلى ما هو أفضل، والحمد لله الذي تتم بنعمة الصالحات.

معالي الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي

أ. د. الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة:

شكراً سيدي الأستاذ على هذه الأجوبة المُوضِّحة لكثير من النقاط التي وقع عرضها إثر إلقاء المحاضرة، وأنا أُريد أن آخذ من وقتكم شيئاً قليلاً إذا تفضلتم وتكرّمتم به لأتحدّث عن بعض النقاط التي لا أقول أهملها الإخوان ولكن أقول بأن الحديث – كما يُقال – ذو شجون، وإذا كان ذا شجون فإن الإنسان يجد نفسه مرّة منجذباً إلى اليمين وأخرى إلى اليسار فيفقد بعض الأحيان القضايا الأخرى الهامّة التي ينبغي أن يقف عندها. أنا قبل كل شيء ملاحظتي حول المحاضرة كما هو إجماعكم جميعاً أنّها بحمد الله أخذت صورة كاملة بقضية التنوير عند الغربيين وعند المسلمين، وبيّنت حقيقة التنوير في الأول ثم أشارت إلى المناهج المختلفة التي تأثّر بها العرب والمسلمون أو أرادوا أن يبتدعوها فيما قاموا به من أعمال فذلك أثر عظيم يحتاج إلى الوقوف عنده وإلى التفكير فيه وإلى الكتابة عنه. الذي أريده هو أن أسأل بعض الأسئلة:

السؤال الأول: هذه الدراسة التي استمعنا إليها قد تناولت في الواقع كما جاء في حديث الدكتور المحاضر جانباً لم يتحدّث عنه في الأول لكن استدركه استدراكاً طيِّباً في الآخر وهو أن التنوير هو حركات متعددة وأن أول تنوير هو التنوير الإسلامي للغرب لأن الغرب كان في حاجة إلى من ينقذه من الجهالة ويخرجه من العماية ويُقدّم له آثاراً كثيرة هي هذا الدين الإسلامي وتلك الحضارة اليونانية الفكرية القديمة التي لم يصل إليها الغرب إلا عن طريق العرب والمسلمين. هذا أولاً.

الثاني: لا بدّ من بحث الأسباب التي تربط بالتنوير، ما الذي حمل الغربيين على طلب التنوير حتى جاء العرب فأنجدوهم وأناروا لهم السبيل؟ وما الذي حدا بالغربيين إلى مقاومة الكنيسة وكل الأشكال الدينية لبيان منهجهم الذي يُفرّق بين العقل والوحي والذي يقول أنا لا أتمسّك إلا بالعقل؟ وما الذي حملنا نحن في هذا العصر إلى أن نبحث عن التنوير؟. أليس هو الوضع الاجتماعي والاقتصادي والفكري المتردِّي الذي فرض علينا بأن نخرج من هذا الوضع المهين إلى وضع شريف نُوقِظُ به أرواحنا ومجتمعاتنا والناس من حولنا ليكونوا على هدى من ربهم فيما بعثه الله سبحانه وتعالى إليهم عن طريق الرُّسل والأنبياء ليهتدوا بهديه ويأخذوا بمنهجه؟.

هنا أسأل عن الأسباب، والموضوع لا يحتاج إلى بيان، فكلّنا يعرف من نفسه ما هي الأسباب التي دعت إلى التجديد في هذا العصر أو إلى التنوير الإسلامي، لتسمِّوه كما ترون أو كما تشاؤون،

والتجديد الذي قام به الغربيون في القرن الثامن عشر، والتجديد أو التنوير الذي قام به العرب عندما نشروا حضارتهم وأفكارهم في البلاد الغربية التي لم تكن تعرف شيئاً.

هذا إذا وقف عند حدود البيان ونشر الهداية كما هي سُنة الإسلام فأهلاً وسهلاً لا خلاف، ونحن وقد اختلفنا كثيراً، كل واحدٍ منّا قال رأيه في قضية ما وهو يخالف بذلك بعض الحاضرين لكن هذا ليس بخلاف، هذا تكامل وتعاون، لنصل إلى فكرة نعتدّ بها ونأخذ بها وتكون هي منطلقنا في أعمالنا إن شاء الله.

الأمر الثاني: هو أن الطائفة المتميِّزة من المتنوِّرين أو دُعاة التنوير لم يكونوا كالمسلمين عندما قاموا بحركة التنوير في الغرب ولم يكونوا كما نحن عليه الآن في حاجة إلى مدّ اليد للاستعطاف وللأخذ بما عند الغرب كانوا شيئاً آخراً، أخذوا مواقفهم من الكنيسة ومواقفهم من الكاثوليكية كما قال الأستاذ وغيرها من المذاهب المسيحية ليهاجموا الأديان كلّها وليحاربوا الوحي وليقرّوا ما قدرّه العقل، نحن نقول بالعقل ولا نحتاج للرجوع إلى المعتزلة لإقامة الدليل على هذا، ففي القرآن حثٌّ على الأخذ بما يقوله أولوا الألباب والتمسّك بالتطوّر العقلي واعتبار العقل نور الله الذي أودعه فينا لنستعين به على قضاء حاجاتنا والوصول إلى غاياتنا، فعندئذٍ هذا مُقرّر عندنا، لكن الذي لا نقبله والذي هو مُشكل المشاكل اليوم أن نجد رجال التنوير أو دُعاة التنوير الذين جمعوا بين الحداثة وبين العقلانية وبين البُعد عن الدين ومحاربته، هذه المناهج التي اختلطت في ذهن كثير من الغربيين حتى من الذين يدّعون الإسلام ودخلوا في هذا المنهج كانت مواقفهم سيئة جداً، هم يتحدّثون عن السبب الأصلي في كراهيتهم للكنيسة، لماذا؟ لأن التوراة والإنجيل كانا محرّفين، والنصوص لا رابط بينهما، واحتاج الناس إلى تغييرها وتبديلها والتعليق عليها وتطويرها بحيث لم تبق هي كما كانت، لماذا يريدون وصف القرآن بما وُصفت به كُتب التوراة والإنجيل؟ الكتاب القرآني هو المنّزل من الله – ﷻ – والذي هو بعيد عن كل اختلاط أو اضطراب أو تحريف أو تغيير لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1] ولقوله تعالى: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[2]، هذا لا نقوله مجرّد قول نقلاً للآيات أو للأحاديث ولكن بتتبع أقوال العلماء المختصين في علوم القرآن، فنجد عن طريقهم المعنى الحقيقي الصحيح الذي ينبغي أن نأخذ به وأن ننير به أفئدة الذين ظلموا أنفسهم، لماذا؟ لأن هؤلاء أصحاب التنوير يدعون اليوم إلى إصدار قرآن كامل صحيح جديد لأن القرآن الذي بين أيدينا مغلوط وهو في حاجة إلى من يُصلحه وأن يتلافى ما يوجد به من أخطاء!! هذا شيء.

---

[1] ٩ (سورة الحجر)

[2] ٤٢ (سورة فصلت)

الشيء الثاني: قبل هذا قاوموا الحديث، ونحن نعرف من زمان بأن كثيراً من إخواننا الذين درسوا بأوربا أو تخرّجوا على أساس مدرستها لا يُحبّون الحديث ولا يروونه ولا يعتدّون به فإذا قلت له: هذا حديث. قال لك: لا يصلح. وهذا غير صحيح؛ لأن الحديث هو أهم العلوم وأكملها من حيث التحقيق والضبط الذي جاء به علماء النقل وعلماء التجريح والتعديل، فهل بعد الذي قام به علماء الحديث وعلماء المسلمين في هذا الباب من تعليق أو تغيير أو تبديل أو اختيار لمنهج آخر؟.

الثالث: هو أنّهم يُعارضون ويحاربون الثقافة الدينية. الثقافة الدينية إن شاؤوا فليحاربوا ما عندهم، أما ثقافتنا الدينية فهي مؤصلة وقائمة على قواعد واضحة ومبادئ سليمة، وقولهم إن الثقافة غير صحيحة لماذا؟ لأن علماء الإسلام من الشرَّاح والمفسرين للقرآن والشارحين للحديث وعلماء الأصول وعلماء الفقه يدّعون بأن هؤلاء جميعهم خرجوا عن المنهج الذي ينبغي أن يسيروا فيه. فلا بدّ أن نأخذ موقفاً في الردِّ عليهم. أمّا السكوت عن هذه الظاهرة الخطيرة فإنّما ستدفعنا بعد قرن إلى وجود طائفة تدين بالإسلام ولا تعرف الإسلام من جهة، وتدين بالإسلام وتعمل على حرب الإسلام ومقاومته وهي تظنّ أنها تفعل خيراً.

الأمر الآخر هو أنّ هذا الاتجاه الذي قام به الغربيون، ماذا فعلوا؟ وضعوا أصولاً لمنهجهم التنويري. نحن نريد أن نقاوم هذا المنهج فنعلّق عليه ونسبّ ونشتم، لا ليست هذه السبيل. ما هي القوانين التي ينبغي أن نعتمدها؟ ما هي الخطة التي ينبغي أن نسير عليها؟ كيف نُنير النّاس ونُبيِّن لهم هذا المنهج؟ فكما دعوهم إلى منهجهم ينبغي أن ندعوَ إلى منهجنا وإلا نكون مقصّرين، مقصّرين مع أنفسنا ومقصّرين مع الله لأن الله ائتمننا على هذا التراث، ومن أجل ذلك فالقضية خطيرة جداً وتحتاج منّا إلى وقوف وإلى تدبّر وإلى طلب المنهج الصحيح لحماية مجتمعاتنا الإسلامية من جهة ولنشر الهداية التي نحن مطالبون بها وقد طالبنا بها الرسول ﷺ حين قال: (اللهم إنّي قد بلّغت، اللهم فاشهد، فليُبلّغ الشاهد منكم الغائب). فهذا التبليغ هو لحقيقة الرسالة في معناها الأساسي، في قرآنها الذي لا يتغيّر، في حديثها الثّابت المقطوع به، في الثقافة الدينية والشرعية التي هي أساس الحضارة الفكرية بالنسبة للمجتمعات كلّها حتى الغربية لأنّها استقت من هذه الثقافة الدينية.

هذه الكلمة أردت أن أختم بها هذا الاجتماع مع شعوري بالتقصير عن القيام بواجب الشكر والثناء على الدكتور فيما قدّمه إلينا وأثاره فينا من قضايا تحتاج إلى النظر والدرس، وحضراتكم أوّل من يُقصد بهذا الثناء وأوّل من يُقصد بهذا الشكر والتقدير والاعتبار لأنكم تركتم الرّاحة والاجتماع بأهاليكم والخروج بعد العمل إلى شيء من الترويح عن النفس فإذا أنتم هنا تجتمعون وتتحادثون

وتتناقشون وليس في هذا إلا كل الخير والبركة، فحمداً لكم وشكراً لكم والله يجزيكم خيراً عن مجمع الفقه الإسلامي وعن منتدى الفكر الإسلامي. وشكراً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.